مدخل

طريقة الكشف عن الألفاظ في المعجمات العربية

١- معجمات الألفاظ

المدارس المعجمية

١- النظام الصوتي والتقليبات

تمهيد

عرفنا في الفصل السابق أن اللغويين في عصر الخليل كانوا يجمعون الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في كتيّبات أو رسائل نسميها اليوم كتب الموضوعات. وكانت كلمات هذه الكتيبات ترتب كيفما اتفق، دون مراعاة نظام معيَّن أو قواعد معينة في الترتيب. ويظهر أن الخليل قد رأى أنه لو ألَّف ألف كتاب وكتاب مثل هذا النوع من التأليف، لم يُؤمَّن التكرار ولم يُتأكَّد من ذكر جميع المواد - زد على ذلك صعوبة البحث عن معاني الكلمات فيه - ففكّر باتباع نظام في الترتيب، يضمن له ذكر جميع المواد، ويقيه مغبَّة التكرار، ويسهل على قارئيه البحث عن معاني الكلمات التي يريدونها. فأي نظام اتبع الخليل في معجمه «كتاب العين»؟ ولماذا خصَّ هذا النظام بالاتباع دون غيره؟

لم يتبع الخليل بن أحمد ترتيب نصر بن عاصم لحروف الهجاء العربية، المعروف اليوم، والذي كان شائعاً في عصره[1]، ولا نعرف

(١) ودليلنا على ما نذهب إليه أن أبا عمرو الشيباني (٧١٣ - ٨٢١) وضع معجماً سماه «الحروف» سار فيه على هذا الترتيب مراعياً الحرف الأول فقط =

معرفة أكيدة سبب عزوفه عن هذا الترتيب. أيعود ذلك إلى أنفته من أن يكون تابعاً لنصر بن عاصم وهو العالم اللغوي العبقري الفذ؟ أم إلى رغبته في استكمال سلسلة ابتكاراته التي بدأها بوضع الأوزان الشعرية[٢] وبتأليف أول معجم لغوي عربي حسب ما نعنيه من هذه الكلمة؟ أم لإيثاره الترتيب المخرجي القائم على التمييز بين الأصوات، وقد عاش الخليل في جو الأصوات والأنغام: في قراءة القرآن وفي تفعيلات العروض؟ أم لمعرفته وتفضيله ترتيب حروف الهجاء في اللغة السنسكريتية الهندية، القائم على البدء بحروف الحلق والانتهاء بحروف الشفة، وقد شك بهذا الأمر معظم الباحثين[٣]؟ أم لسبب آخر؟

= من جذور الكلمات. انظر أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٧١ - ٧٦.

(٢) وتعرف بالأوزان الخليليّة نسبة إليه.

(٣) من الذين قالوا إن الخليل أخذ ترتيبه من اللغة السنسكريتية جورجي زيدان (انظر كتابه تاريخ آداب اللغة العربية. القاهرة دار الهلال ج ٢ ص ١٤١). وكاتب مادة «خليل» في دائرة المعارف الإسلامية. لكن أكثر الباحثين يميلون إلى رفض هذا القول للأسباب التالية: ١ - عدم معرفة الخليل للغة السنسكريتية. ٢ - عدم اتفاق حروف اللغتين العربية والهندية في الترتيب. ٣ - عدم وجود معجم معروف للهند في ذلك الوقت. انظر عبد الله درويش: المعاجم العربية. القاهرة. مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٦ ص ٤. وأحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٦٠. وعدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٢٥.

مهما يكن من أمر هذا السبب، فإنه من الثابت، أن الخليل، كعادته في الابتكار - ابتكر لنفسه نظاماً خاصاً في ترتيب حروف الهجاء، سار عليه في ترتيب مواد معجمه. ويرتب هذا النظام حروف الهجاء كالتالي: ع. ح. هـ. خ. غ. ق. ك. ج. ش. ض. ص. س. ز. ط. د. ت. ظ. ث. ذ. ر. ل. ن. ف. ب. م. و. ا. ي. الهمزة.

ومن الملاحظ أن هذا الترتيب قائم على أساس تقسيم الأصوات حسب مخارجها الصوتية، ثم ترتيبها على هذا الأساس من أقصى الحلق إلى حروف الشفة. فقد بدأ الخليل بالحروف الحلقية (ع ح هـ خ غ) ثم اللهوية (ق ك) ثم الشجرية (ج ش ض) فالأسلية (ص س ز) فالنطعية (ط د ت) فاللثوية (ظ ث ذ) فالذلقية (ر ل ن ف ب م) فالهوائية (و ا ي).

وهنا لا بد من التساؤل: لماذا لم يبدأ الخليل بالهمزة ثم بالهاء وهما أقصى حروف الحلق، لا العين الذي بدأ به، ما دام ترتيبه قائماً على أساس مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى حروف الشفة؟ لقد أثر عن الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف، وليس العلم بتقدم شيء على

شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته فبأي بدأت كان حسنًا وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفًا»(٤).

هذا بالنسبة للترتيب الصوتي، أما بالنسبة لنظام التقليبات الذي اتبعه الخليل، فيظهر أن الفراهيدي قد رأى أنه لا يمكن حصر جميع مفردات اللغة إلا باتباع نظام حسابي دقيق، فهدته عبقريته الفذة إلى نظام التقليبات. فقد رأى أن الكلمات العربية، باعتبار أصولها إما أن تكون مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة. فالكلمات الثنائية الأصول «يمكن حصرها بأن يفرض أن الحرف الأول مثلاً «أ» فالحرف الثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء الخ..فإذا ضربنا ١ × ٢٧ (وهي عدد حروف الهجاء) أمكن أن نحصر الكلمات الثنائية المبدوءة بالألف(٥). ثم نأخذ الباء ونضربها في ٢٦، والثاء ونضربها في ٢٥ وهكذا، ومجموع كل هذا نضربه في ٢ ليكون معنا مقلوب الحروف، لأن التقديم والتأخير معتبر في التركيب، فيكون مجموع ذلك جميع الكلمات المركبة من حرفين. ويلاحظ أنه بهذا ترك الكلمات المركبة من حرفين متماثلين مثل أ أ، ب ب. ثم عمل كذلك في الثلاثيات، ففرض أن كل ثنائي مما تقدم يعتبر كأنه حرف واحد،

(٤) السيوطي: المزهر. القاهرة. ط الحلبي. ج ١ ص ٩٠.

(٥) الأصح قراءة الحرف الأول من الهجاء العربي، همزة لا ألفاً، لأن هذه الألف موجودة مع اللام في اللام ألف (لا). وإن قرأنا الحرف الأول ألفاً، أين تكون الهمزة؟

فتضرب عدد الثنائيات في ٢٦ وما بعده في ٢٥ وهكذا، ومجموع ذلك يضرب في ٦ جملة المقلوب، وفعل مثل ذلك في الرباعي والخماسي»(٦).

وعلى هذا النظام تجد المواد: ع ك ب - ع ب ك - ك ع ب - ك ب ع - ب ع ك - ب ك ع مجموعة في فصل واحد، أو كتاب واحد، هو كتاب العين. وذلك لأن حرف العين أسبق الحرفين الأخيرين: الباء والكاف في ترتيب الخليل لحروف الهجاء. وكذلك نجد المجموعة ك ت ب - ك ب ت - ب ك ت - ب ت ك - ت ب ك - ت ك ب - مجموعة مع بعضها في كتاب الكاف بسبب أن هذا الحرف أسبق من الباء والتاء حسب الترتيب الصوتي.

وإن شئت على هذا النظام أن تفتش عن معنى «واغد» أو «الساقي» مثلاً في كتاب العين أو في المعاجم التي اتبعت نظام الخليل في الترتيب الصوتي والتقليبات، عليك أن ترد هاتين الكلمتين إلى أصلها «وغد» و«سقي» وتفتش عن معنى الأولى في كتاب الغين (لأن الغين أسبق من الواو والدال في الترتيب الصوتي) وعن معنى الثانية في كتاب «القاف» (للسبب نفسه).

والذي يهمنا في هذا التمهيد هو التأكيد أن ترتيب الخليل

(٦) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٢ ص ١٦٦.

للحروف حسب مخارجها، ونظامه في التقليبات قد أصبحا سمة مرحلة مميَّزة من مراحل التأليف المعجمي، أو قل سمة مدرسة كان من تلامذتها كثيرون، لعل أهمهم الأزهري في معجمه « تهذيب اللغة » والقالي في معجمه « البارع » وابن سيده في « المحكم »، والزبيدي في « مختصر العين ». وسنقتصر في دراستنا هذه المرحلة على « كتاب العين »، و « تهذيب اللغة » و « البارع » و« المحكم »[٦].

كتاب العين

مؤلفه:

الخليل بن أحمد (٧١٨ - ٧٨٦ م)، ولد في عُمان، لكنه نشأ وتعلم وعلم بالبصرة، فاشتهر بالبصري. ينتسب إلى بدل فرهود من قبيلة الأزد، فعرف بالفراهيدي[٧]. برز في العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر، كما كان بارعاً بالعلوم الرياضية والشرعية والموسيقى له « كتاب العين » وهو أول معجم لغوي وصل إلينا، ومؤلفات عدة لم يصلنا شيء منها، لكن كتب الطبقات ذكرت أسماء بعضها، منها « النقط والشكل » و « النغم » و « العروض » و « الشواهد » و « الجمل » و « الإيقاع »[٨].

---

(٧) يصر بعضهم على تصحيح النسبة إلى الفرهودي.

(٨) الزركلي: الأعلام ط ٥ بيروت. دار العلم للملايين. ١٩٨٠ ج ٢ ص ٣١٤.

(٦٧)

نسبة كتاب العين للخليل

تمهيد

وسببه ان هذا الكتاب لم يره احد في زمن الخليل ، بل حمله عنه تلميذه الليث ابن المظفر ، ونسب اليه ، وحين سئل تلميذه النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) عن هذا الكتاب انكره ، وادعى انه لم يفارق الخليل حتى دفنه بيديه ، ولم يكن يعلم ان له كتابا بهذا الاسم (١) . على ان في الاخبار ما يرفض قول النضر هذا ، فقد نقلوا عنه انه وضع كتابا باسم (المدخل الى العين) .

ونقلت الاخبار ان الخليل استدعى تلميذه الليث ، وعرّفه بمشروعه في وضع هذا الكتاب ، فاملى عليه طريقته ، فلم يجد الليث طريقا الى فهمها ، وتعذر عليه ذلك ، فترك استاذه الخليل وقصد الحج ، ثم رجع فوجد ان استاذه قد عمل جزءا من الكتاب ، وقد انجز خطته كاملة ، فاملى عليه ، وطلب اليه ان يستفسر من العلماء ما يجهله ، فلما قضى الخليل نحبه ، كان جزء كبير من الكتاب قد بقي على الليث ، فأتمه الليث .

وروى ابن المعتز في (طبقات الشعراء) عند ترجمته للخليل انه هو الذي وضع الكتاب بكامله ، واهداه لليث ، وكان الليث قد حفظ نصفه فلما شغل بالكتاب عن زوجته احرقته ، اغاظة له ، فلما اراد تأليفه من جديد كتب النصف الاول منه من حفظه ، واستعان في النصف الثاني بعلماء عصره فوقع لذلك التخليط في الاجزاء المتأخرة من الكتاب (٢) .

وذكر آخرون ان الخليل قد الف منه جزءا وصل فيه الى آخر حرف العين فمات ، واتمه غيره بعده (٣) .

ولسنا نريد ان نستقصي ما قيل في الكتاب ، مما اثار الشكوك وحمل

---

(١) طبقات النحويين : الزبيدي : ٥٣ فما بعد

(٢) طبقات الشعراء : ٢٠٢

(٣) انظر مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ، وارشاد الاريب : ٢٢٣/٦ ومراتب النحويين ٣١

الدارسين في حيرة من حقيقته ، والواقع ان كتاب العين من تأسيس الخليل ، ومنهجه ، لامراء في ذلك ، وان كان بعضهم يكبر ان يكون للخليل يد فيه ، فان الخليل قد عمل جزءاً غير يسير منه ، ولكنه مات ، فاتمه بعده تلميذه الليث بعد ان عرف طريقته ، وها هو الليث يحدثنا عن كيفية عمل العين ، بعد ان استدعاه الخليل ، واوضح له ترتيب حروف آ ب ت ث على نظام المخارج ، لاستيعاب كلام العرب وحصر مواد اللغة ، فيسأله الليث : وكيف يكون ذلك ؟ فيوضح له الخليل طريقته في وضع مواد اللغة على (الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي) وكان الليث يسأل والخليل يجيب ، فلم يدرك الليث مراد الخليل فهو يقول : « فجعلت استفهمه ويصف لي ، ولا اقف على ما يصف فاختلفت اليه في هذا المعنى ، اياما ، ثم اتمثل ، وحجبت ، فما زلت مشفقا عليه ، وخشيت ان يموت في علته ، فيعالل ما كان يشرحه لي فرجعت من الحج وصرت اليه ، فاذا هو قد الف الحروف كلها على ما هي في الكتاب . وكان يملي علي ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه ، فاذا صحّ فاثبته ، الى ان عملت الكتاب [1] .

فمن هذا الخبر نستنتج ان الكتاب من تأسيس الخليل لا غيره ، وانه مارس تأليف الكتاب بيده ، غير ان مرضه حال دون استمراره ، فاستعان بالليث يملي عليه ، والليث يكتب حتى تجز الكتاب ، بيد الليث .

ومهما يكن من امر فان الدارسين المحدثين قد اثبتوا ان الخليل هو المؤلف الحقيقي لكتاب العين [2] .

(١) معجم الادباء : ٢٢٧/٦

(٢) الدكتور حسين نصار في المعجم العربي ، والدكتور عبدالله درويش في مقدمة الجزء الاول من العين — طبع العراق ، وفي دراسته للدكتوراه عنه .

(٣) معجم الادباء : ١٨١/٤ فما بعد .

ساعد الخليل على ان يصبح اماما في العربية واللغة ذكاء حاد ، وفطنة عالية وذوق وحس مرهفان ، وخلق ودين وادب جم ، حتى كان يشار اليه ، لسعة الصدر وحسن الاخلاق والدين ، فكان سفيان الثوري يقول من احب ان ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك ، فليظر الى الخليل بن احمد [1] .

وكان النضر بن شميل تلميذه يقول : « كنا نمثل بين ابن عون والخليل بن احمد ، ايهما تقدم في الزهد والعبادة ، فلا ندري ايهما تقدم » [2] . ويقول : « ما رأيت رجلا اعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل ... لكانت السنة في الخليل ... وكتبه ، وهو في خصّ لا يشعر به . وكان يحج سنة ويغزو سنة »

لقد كان الخليل ابي النفس ، مترفعا تزهيا ، الى جانب علمه الجم ، فالتف حوله جملة من طلبة العلم والمعرفة ، اصبحوا فيما بعد ائمة العربية كالاصمعي وسيبويه ، والنضر بن شميل ، وابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي وعلي بن نصر الجهضمي والليث بن المظفر ، والاخفش الاوسط ، وحاد الحذاء ، وعمرو بن كركرة ، وغيرهم .

ولقد ذكرت له كتب التراجم جملة من الكتب والرسائل في علوم اللغة العربية ، وغيرها ، من ذلك :

١ — كتاب الايقاع
٢ — كتاب الجمل
٣ — كتاب الشواهد
٤ — كتاب العروض
٥ — كتاب العين
٦ — كتاب واثت العين
٧ — النغم
٨ — النقط والشكل وغيرها

توفي الخليل بن احمد سنة (١٧٥ هـ) عن اربع وستين سنة وقيل غير ذلك [3] .

(١) انظر : معجم الادباء : ١٨١/٤ — ١٨٢ ومراتب النحويين : ٢٧ ونزهة الالباء : ٣٦ والبلغة الزبيدي : ٤٤ — ٤٥ والضلاكة : ٩٣

(٢) انظر طبقات الزبيدي : ٤٤ والنزهة : ٣١ والتنبيه على حدوث التصحيف ٩٥٣ ، البلغة ٣٤٦/١ . مفتاح السعادة : ١٠٨/١

(٣) انظر معجم الادباء : ١٨٣/٤

منهج العين

يعدّ كتاب العين باكورة التأليف المعجمي عند العرب . وان كان ثمة شك في اسبقية هذا الكتاب ، لوجود كتاب آخر معاصر له وهو كتاب الجيم للشيباني .

وعلى اية حال ، فان الطريقة التي فتقها الخليل بن احمد في هذا المعجم مدرسة من اكبر المدارس المعجمية في مضمار التأليف اللغوي ، لما تميزت به هذه الطريقة من خصائص وسمات افتقرت اليها المدارس المعجمية الاخرى ، وهذه الخصائص والسمات هي :

١ ــ الترتيب على المخارج :

لقد تناول الخليل ترتيب حروف المعجم على الاحياز الصوتية ناسبا كل صوت منها الى موضعه من الجهاز النطقي ، بعد ان كان الترتيب المعروف عند العرب ، وهو ترتيب النصر بن عاصم الليثي الذي نقله من ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ ، فجعله :

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى .

فلما جاء الخليل ، اراد ان يبتدع ترتيبا علميا دقيقا يعطي لكل صوت من هذه الاصوات صفته ، ويحدد موضعه من المخرج ، فدرس الحروف ، وتذوقها بجهاز نطقه ، فوجد ان حروف الحلق ادخل في المخرج من سائرها ، ووجد ان الهمزة هي الاعمق مدخلا ، فاراد ان يبتديء بها ، ولكنه اخرها لانه وجد انها لا تستقر على صوت واحد ، اذ سرعان ما تتبدل الى حرف مدّ كما هي الحال في مثل : « شؤم وشوم ، وذئب وذيب ورأس وراس » ورأى ان « العين » هي الاحق بالتقدم لكونها انصع الحروف جرسا ، وادخلها في الحلق ثم تليها الحاء فالهاء وهكذا الى آخر الحروف . فكان ترتيبه على الشكل الآتي :

ــ ع ح هـ خ غ : الاحرف الحلقية .
ــ ق ك : وهما حرفان لهويان .

ــ ج ش ض : ثلاثة احرف شجرية .
ــ ص س ز : ثلاثة احرف اسلية .
ــ ط د ت : ثلاثة احرف نطعية .
ــ ظ ذ ث : ثلاثة احرف لثوية .
ــ ر ل ن : ثلاثة احرف ذولقية .
ــ ف ب م : ثلاثة احرف شفوية .
ــ ا و ى : ثلاثة احرف جوفية او هوائية .
ــ الهمزة .

فيلاحظ ان الهمزة قد انفردت لوحدها ، لما سبق ان اشرنا ، وبذلك عقد لها بابا خاصا ، يبين فيه تغيرها وصفاتها وانواعها .

كما يلاحظ ايضا ان مجموعات الاصوات ذات اسماء تحدد مواضعها من المخارج ، فالحلقية منسوبة الى الحلق وهو اول موضع في مواضع الجهاز النطقي تخرج منه الاصوات اللغوية . ثم اللهاة التي تنسب اليها الحرفين اللهويين فشجرة الفم ومنها مخرج الاحرف الشجرية ، فأسلة اللسان ، وهو مستدق طرفه ومنه مخرج الاحرف الاسلية . واما نطع الغار الاعلى من الفم ففيه مخرج الاحرف النطعية ، ويليه مخرج الاحرف اللثوية من لثة الفم تحت الاسنان ، ثم احرف الذلاقة ، وهي الاحرف التي تنذلق على اللسان ، فالاحرف الشفوية ، وهي التي تشترك الشفة في اخراجها .

اما احرف الجوف ، او الاحرف الهوائية ، فيشترك في اخراجها كل الجوف من الرئتين حتى آخر الفم . وبذلك اكتسبت كل مجموعة اسما خاصا يميزها عن المجموعة الاخرى .

٢ ــ تقسيم الابواب على الثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي :

ولقد فكر الخليل في طريقة يحصر بها مواد اللغة وجذور المفردات ، وهي طريقة رياضية ، تتمشى مع عمل منهجي آخر تميزت به هذه المدرسة ، وهو نظام التقليب الذي سنتحدث عنه بعد اعطاء فكرة عن هذا الجزء من المنهج

(ع هـ خ) (ع هـ غ) (ع هـ ق) (ع هـ ك) (ع هـ ج) وتقليباتها جميعا حتى نهاية باب الثلاثي من العين ، فيتركه ويأخذ الحرف الذي بعده ... وهكذا .

اما الرباعي ، فيستخدم في تكوين مادته الطريقة التي استخدمها في الثنائي والثلاثي ، ولكن الذي نلاحظه ان مواده تكون اربعا وعشرين اي : من (حاصل ضرب ٦ مواد من الثلاثي في اربع) . وهاك مثالا لذلك :

ع ق ر ب	ـــ ع ق ب ر	ـــ ع ر ب ق
ع ب ر ق	ـــ ع ر ق ب	ـــ ع ر ب ق
ب ع ق ر	ـــ ب ع ر ق	ـــ ب ق ر ع
ب ر ق ع	ـــ ب ر ق ع	ـــ ر ق ع ب
ر ق ب ع	ـــ ر ب ق ع	ـــ ر ب ع ق
ر ع ب ق	ـــ ر ع ق ب	ـــ ق ر ع ب
ق ر ب ع	ـــ ق ع ب ر	ـــ ق ع ر ب
ق ب ع ر	ـــ ق ب ر ع .	

فأنت تجد ان كلا من (العين والراء والقاف والباء) قد تصدرت ست مواد من مجموع اربع وعشرين مادة .

اما الخماسي فيتكون من حاصل ضرب اربع وعشرين مادة في خمس فيتكون المجموع مئة وعشرين مادة .

وبذلك يكون الخليل قد حصر بشكل رياضي دقيق كل المواد التي تتألف من حروف العربية وتقليباتها ، سواء أكانت هذه المواد مهملة ام مستعملة في كلام العرب وظهر عنده انها بلغت حوالي اثني عشر مليونا ونصف المليون .

وكان على الخليل ان يقف على ما كان مستعملا من المواد في سائر كلام العرب ، وما لم يستعمل ، وذلك لا يأتى الا بسعة الاطلاع وكثرة السماع من العرب ومشافهتهم ، والنقل عن العلماء . ومن هنا وضع اساسا منهجيا نلمسه في صدر كل جذر وهو اشارته الى :

٤ ـ المهمل والمستعمل من اللغة : ويلاحظ ذلك واضحا في صدر كل باب ، فتقليب مادة (عه) [1] ، مثلا ، أهمل الخليل هذا الباب لعدم سماعه

(١) العين : أول حرف العين .

اما الاصل الثلاثي فهو نوعان : ثنائي بالشكل الثلاثي بالحقيقة وهو المضعّف : مثل : مدّ ، وصفّ ، وغمّ ، وهذا النوع هو الذي اراده الخليل بالثنائي .

ونوع ثان هو الثلاثي بالشكل والحقيقة ، مثل : ذهب ، وعى ، نوى ، سما .

فقسم الخليل ابواب كتابه على الثنائي ، واراد به المضعف ثم الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي .

٣ ـ نظام التقليب : وهو منهج رياضي دقيق استطاع به الخليل ان ينجز مهمة حصر مواقع الحروف من المادة اللغوية ، وضمّن به ان يمر على الحرف في ترتيبه المخرجي دون العودة اليه ثانية ، اعني ان مادة (خفّ) مثلا من الثنائي ، قد تكونت من حرف (الخاء) من احرف الحلق ، مع حرف الفاء من احرف الشفة ، حسب ترتيبه ، فاذا لم نقلب مادة (خف) ونصنع منها (فخ) فاننا لن نمر على المادة الثانية (فخّ) ، ولذلك كان نظام التقليب جزءا اساسيا كبيرا من منهج هذه المدرسة .

وبتقليب الثنائي تتكون عندنا (مادتان) ، مثل (عدّ) و(دعّ) و(عق وقعّ) ... وهكذا . وتتم هذه الطريقة بان يبدأ الكتاب بحرف (العين) وهو

اما الثلاثي فتتكون منه ست مواد (اي حاصل ضرب مادتين في ثلاث) مثل : عرف ، عفر ، قمر ، قرع ، رعق ، رقع) . ومثل (عجل ، علج ، جلع ، جمل ، لجع ، لعج) ... وهكذا .

استعماله من العرب : كما اهمل (العين مع الغين) ولكن تقليب (عق) و (قع) مستعملان فاخذ بتفسيرهما ، واورد عليهما شواهد ، وامثلة من كلام العرب .

وفعل مثل ذلك في الثلاثي وسائر الابواب (فالعين مع الحاء) وما يثلثهما مهمل كله ، وكذلك الابواب (ع هـ خ و ع هـ غ) جميعها . وهكذا الحال في جميع الابواب حتى آخر الكتاب .

ان منهج كتاب العين صعب ، يحتاج الى دقة وتأمل ، ولكن صعوبته تنال بيسر وسهولة اذا ما حفظنا ترتيب الحروف على المخارج ، وفيما يأتي محاولة لاستخراج بضع كلمات من تضاعيف العين .

كيف نستخرج الالفاظ المفسرة من مدرسة العين

اذا كان بين ايدينا الالفاظ (صنع) (وهن) (اكرم) (بعثر) (سفرجل) و (استطاع) (انتقل) ، فكيف نعثر عليها في المعجمات التي سارت في موكب هذه المدرسة المعجمية العريقة ؟

ناخذ مادة (صنع) فهي جذر ثلاثي لا زيادة فيه ومن هنا ينبغي ان نفتش فيها عن الحرف الاول في ترتيب الخليل المخرجي ، فنلاحظ انه (العين) وهو اخر مادة (صنع) ثم نفتش عن الحرف الذي يتبع العين في ترتيب الخليل المخرجي كذلك فهو (الصاد) ثم تاتي النون ولذا فاننا نجد هذه المادة (صنع) في تفسير (عصن) وتقلباتها الستة وهي : (ع ص ن ـــ ع ن ص ـــ ن ع ص ـــ ن ص ع ـــ ص ن ع ـــ ص ع ن) فالمادة الخامسة ضمن التقليب هي المقصودة بالبحث .

أما (وهن) فالهاء اولها ثم النون فالواو أي في (هنو) وتقلباتها الستة .

وكرم : في (ك ر م) أي هي المادة الاولى في الباب الذي نريد ان نستخرج منه تفسير (كرم) .

اما (بعثر) الرباعية ، فهي حتما في باب الرباعي من العين وهو اول الحروف ثم الثاء فالراء فهي اذن في (عثرب) وتقاليبها الاربعة والعشرين .

ومادة (سفرجل) في : (ج س ر ل ف) وذلك تبعا للترتيب المخرجي الذي جرى عليه المؤلف .

اما الكلمتان (استطاع وانتقل) فانهما ليستا جذرين لانهما زيدتا ، فجذر استطاع هو (طوع) . والعين فيه هو الحرف الاول ثم الطاء فالواو : (عطو) وتقلباتها .

و (انتقل) جذره : (نقل) فستجده في (قلن) لان القاف قبل اللام والنون في الترتيب المخرجي .

الكتب المعجمية على طريقة العين :

لقد تبع الخليل في منهجه كثيرون ، كان منهم الناقد والمستدرك ، ومنهم المكمل والمتمم ، ومنهم المتبع المقلد .

فمن المستدركات ، كتاب : (الاستدراك على العين) لابي بكر الزبيدي الاشبيلي (٣٧٩ هـ) [١] الذي الف كتابا آخر في العين سماه (الانتصار للخليل) [٢] .

ومن الكتب المكملة للعين كتاب (التكملة) للبشتي الخارزنجي (٢٤٨ هـ) [٣] ، الذي نقده الازهري في مقدمة كتابه التهذيب ، ووصمه بالتصحيف والجهل ، والغلط الكثير ، وقال فيه بعضهم :

في الخارزنجي بلـــه وفيـــه عيّ وولـــه
ويدعي من جهله وضع كتاب التكمله
وهو كتاب العين الا انه قد كمله

ومن الكتب التي نهجت نهج الخليل ، وتتبعته في دقائق منهجه كتاب (البارع) للقالي (٣٥٦ هـ) وكتاب (المحكم) لابن سيده (٤٥٨ هـ) وهو مطبوع ، وكتاب (الخصائل) لأبي الازهر البخاري (٣٢٥ هـ) وكتاب (تهذيب اللغة) لابي منصور الازهري (٣٧٠ هـ) وقد طبع في خمسة عشر جزءا ، ثم الحق به جزء سادس عشر مستدرك على الاجزاء المتقدمة [٤] وهناك معجمات اخرى نهجت نهج العين ، ككتاب (المحيط) للصاحب بن عبّاد (٣٨٥ هـ) وغيره .